كلمة

السيد بولات سارسينبابييف

رئيس مجلس الإدارة مركز نازاربابييف

لتنمية الحوار بين الأديان والحضارات

صاحب السمو الملكي الملك حمد بن عيسى آل خليفة!

أصحاب القداسة!

أصدقائي الأعزاء!

إنه لمن دواعي سروري البالغ أن أرحب بالمشاركين في منتدى البحرين للحوار: الشرق والغرب من أجل التعايش الإنساني. وإنه لمن دواعي سروري أن نلتقي مرة أخرى بأصدقائنا القدامى - المشاركين في المؤتمرات. لقد شرفنا برؤيتكم مؤخرا على أرض كازاخستان المضيافة، في قلب أوراسيا - أستانا. لدينا اليوم فرصة لمناقشة قضايا الحوار بين الأديان والحضارات على هذا المستوى الرفيع.

أودُّ أن أغتنم هذه الفرصة لأشكر القادة الروحيين والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مملكة البحرين ومركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي ومجلس حكماء المسلمين على دعم مبادرتنا لعقد مؤتمر زعماء الأديان العالمية والتقليدية ومشاركتهم الشخصية فيه.

أعزائي المشاركين،

ينعقد منتدى اليوم في لحظة مصيرية حاسمة؛ حيث تشهد العلاقات الاقتصادية الحديثة تغيرات جذرية وفعالة تؤثر على مصالح جميع البلدان العملية في العالم. ويتطلَّب الانسجام الدولي أساسًا أيديولوجيًّا جديدًا يمكن أن يعكس هذه التغيرات العالمية التي تحدث في السياسة العالمية.

إن تقلب الأسواق العالمية بات يهدِّد استقرار التنمية في عدد كبير من الدول. كما أن الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة آخذة في الاتساع. يؤدي تخلف تنمية الاقتصادات إلى زيادة البطالة وتعميق التناقضات الاجتماعية في المجتمع. ولا يزال الفقر والمرض والجوع يفتك بشريحة كبيرة من سكان العالم، وهذا كله تربة خصبة للجريمة والإرهاب بكل مظاهرهما.

لقد أصبحت المخاطر البيئية العالمية جسيمة، كما أن الأضرار الناجمة عن الكوارث الطبيعية عام 2021 قد بلغت 280 مليار دولار.

وقد تباطأت العديد من العمليات الدولية بشكل كبير نتيجة للجائحة، مما أثَّر على إعادة تقييم القيم على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات والدول من حيث الطلب المتزايد للروحانية والقيم الأسرية والتواصل المباشر. ومن ناحية أخرى، برزت اتجاهات مثل التباعد بين الناس، وتدهورت نوعية الاتصالات بسبب نقص الاحتكاك المباشر والمفاوضات الحية، والطفرة في الاتصالات الرقمية، والأزمات الاقتصادية، وتصاعدت موجة العدوان لتطفو على السطح.

ماذا يمكننا أن نفعل ضد هذه الشرور؟ كيف يمكننا تغيير العالم للأفضل؟

إن خبرة التجارب التاريخيَّة لا تقدم سوى إجابة واحدة هي: الوحدة وتظافر الجهود. ولا توجد ضمانات أخرى للنجاح. لدينا اليوم فرصة حقيقية لتعزيز القيم والآراء الروحية. لدينا جميع الظروف الملائمة لإبراز رؤيتنا للتنمية القائمة على التعاون والاحترام المتبادل والتسامح. وفي سياق الترابط والاعتماد على بعضنا البعض وحجم المشاكل القائمة التي

تواجه دولنا، يتعين على زعماء الأديان العالمية والتقليدية اعتماد نُهُج تساعد على إيجاد الظروف المناسبة للتعاون متعدد الأطراف القائم على أساس قيم الحوار بين الأديان والاحترام المتبادل.

لقد قدمت كازاخستان وستواصل تقديم مساهمتها في نشر التسامح والسلام العالميين. إنني أتضامن مع قداسة البابا فرنسيس، الذي قال: «ما يوحِّدنا بالفعل يفوق بكثير ما يفرقنا».

لقد اجتمعنا معًا لمناقشة آفاق تطور حضارة الأرض، وللبحث بشكل مشترك عن طرق ووسائل للتغلب على التهديدات التي يتعرض لها الوجود البشري في سياق الحقائق والتحديات الجيوسياسية الجديدة.

إن حفظ السلام يحظى الآن بأهمية قصوى، ويجب أن نركز جهودنا المشتركة على إنهاء النزاعات الناشئة عن عدم التسامح مع معتقدات الآخر أو أساليب حياته أو عقائده. إنَّ توفير الأساس المتين للتطور السلس لحضارتنا لن يتحقق إلا بالحوار والسلام والوئام.

يجب أن يسترشد جميع قادة العالم الحديث، دون استثناء، بفهم المسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتقهم من خلال ثقة المجتمع. إن المسؤولية عن كل كلمة وفعل وعمل هي السبيل إلى تلافي المزيد من الصدامات وسفك الدماء. هذا هو واجبنا وواجبنا المقدس تجاه الإنسانية.

الأصدقاء الأعزاء!

على الرغم من الدروس المستفادة من فترة ما قبل الوباء وفترة الجائحة، فإنَّ المجتمع الدولي يظهر حاليا بسجل سلبي بسبب التوترات الجيوسياسية

المتزايدة وتدهور مستوى ونوعية الحوار، وهذا يهدد العالم الحديث بمواجهة حرب عالمية، بما في ذلك حرب نووية ذات عواقب كارثية.

وفي هذا الصدد، فإن دور الزعماء الروحيين والدبلوماسية الدينية ليس بالمهم فقط، بل إنه ضروري لإقامة حوار مع القادة السياسيين والمنظمات الدولية والمجتمعات الدينية في العالم من أجل خلق مناخ ملائم للحوار والمصالحة. إن النداءات المشتركة المباشرة التي يبعث بها كبار الزعماء الروحيين في العالم إلى المعتدين الدوليين قد تؤدِّي بالفعل إلى مضاعفة فرص الحد من التوترات الدولية أو الخروج من أزمة مشوشة، نظرًا لأن الوضع السياسي للزعماء الدينيين محايد ولا يقف إلا إلى جانب القيم الإنسانية.

أصحاب القداسة!

تتطلب تحديات عصرنا نموذجًا جديدًا للأمن والتنمية، يجب أن يقوم على توحيد جهود المجتمع الدولي من خلال فهم دور الأديان والقادة الروحيين في التحولات العالمية التي يشهدها عصرنا. والطريقة الوحيدة الصحيحة للتغلب على هذه التناقضات هي السعي معًا إلى حلول وسط تقود إلى السلام والوئام في المجتمعات.

لكن لا يمكننا تحقيق أي تقدم دون تغيير الموقف من الحياة باعتبارها أعلى قيمة، مع التأكيد على أولوية الأساس الروحي والأخلاقي للإنسان. والأهمُّ من ذلك هو الدور الذي يجب على القادة الروحيين القيام به في إعادة بناء العالم على أساس جديد ومحسن.

إن إرساء هذه الأسس يستوجب أولًا ضمان التنسيق والوحدة بين جميع الجهات الفاعلة المشاركة في بناء نظام عالمي جديد. وتحقيقًا لهذه الغاية، نحتاج إلى السلام والتفاهم والإرادة السياسية الموحدة للدول ودعم الشعوب. ويجب أن نصل إلى قاسم مشترك في تفسير أهم القيم: الحرية والمساواة والعدالة والمسؤولية المتبادلة والتسامح. ومن المهم أن نتشارك هذه المثل العليا في كل مكان. إننا نرى أن منطق تطور العولمة الحديثة يكمن في هذه الوحدة في التنوع.

يجب الارتقاء بالجانب الروحي للبشرية، والتي لا يمكن إثراؤها من خلال متطلبات يومنا الحاضر إلا بالتمسك بالقيم التقليدية.

الأصدقاء الأعزاء!

لدينا اليوم فرصة فريدة لتقاسم رؤية التحديات متعددة الأوجه التي تفرض نفسها على آفاق التنمية العالمية ولتشارك هيكل التعايش الآمن والمتناغم بين حضارات كوكبنا.

وآمل أن يكون المؤتمر السابع لزعماء الأديان العالمية والتقليدية، الذي عقد في كازاخستان كنظام جديد جوهري لتعاون القيادات الروحية العليا، قد أثرى ممارسة التفاعل الدولي والديني بأفكار مبتكرة ومقترحات جديدة.

لقد حدد رئيس جمهورية كازاخستان قاسم جومارت توكاييف، الذي تحدث في افتتاح الجلسة العامة للمؤتمر السابع لزعماء الأديان العالمية والتقليدية، هذه المعضلة بوضوح حين قال: «ما الذي يمكننا الاعتماد

عليه لمواجهة تحديات اليوم؟ إن التاريخ لا يقدم إلا إجابة واحدة فقط: النوايا الحسنة والحوار والتعاون. ولا توجد بدائل أخرى للنجاح.

وما فتئت كازاخستان تدعو إلى إدارة الخلافات على طاولة المفاوضات بروح ميثاق الأمم المتحدة. إن العقوبات والتهديد بالعقوبات واستخدام القوة لن يؤدي إلى حل المشكلات أبدًا. في مثل هذه اللحظات، يجب أن نعود إلى الأفكار الإنسانية. وهذه الأفكار الإنسانية دائمًا ما تحميها الأديان التقليدية. واحترام حقوق الإنسان، واحترام بعضنا البعض، والمساعدة المتبادلة، والانفتاح، والعدالة، والمساواة هي ركائز النظام الأمني الجديد».

إننا نولي أهمية خاصة للقمة العالمية المشتركة بين الأديان التي عقدت في أستانا.

لقد كان شرفًا عظيمًا لكازاخستان المستقلة أن تجمع بين أكثر القادة الروحيين احترامًا في العالم وأن تقيم حوارًا مع قداسة البابا فرنسيس، بابا الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية، وفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، وممثلي الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، وديفيد لاو، الحاخام الأكبر لليهود الأشكيناز في إسرائيل، ويتزاك يوسف، الحاخام الأكبر لليهود السفرديم في إسرائيل، وثيوفيلوس الثالث، بطريرك القدس، وقادة الديانة المسيحية، والبوذية وممثلو الهندوسية والطاوية والشنتوية واليانية والبهائية، وجميع المشاركين في المؤتمر.

إن الأهمية الرمزية الكبيرة التي برزت في هذا المؤتمر السابع هي أنه قد شَهِدَ تحديث إعادة التفكير والفهم الخاص بدور القادة الروحيين في العمليات العالمية.

وقد ركَّز رئيس دولتنا على عدة مواضيع ملحة، منها:

أولا: تشترك جميع الأديان التقليدية في مجموعة من المبادئ الروحية الأساسية، بما في ذلك احترام الحياة البشرية والاحترام المتبادل ومعارضة العنف، والتي ينبغي أن ترسي الأسس لنظام عالمي جديد اليوم.

ثانيًا: يعارض القادة الدينيون جدال السياسيين واختلافهم ويحرصون أشد الحرص على التقريب بينهم.

ويمكن، بل ينبغي، للحوار واسع النطاق الذي دار بين القادة الدينيين، والذي شهدته قمة أستانا للحوار بين الأديان، أن يوضح للبشرية طريقة للخروج من المواجهة الحالية، بل والأكثر من ذلك أن يصيغ مبادرات لتحقيق السلام المستدام، لأنه لا غنى على الإطلاق عن حل النزاعات في جميع مناطق العالم.

كما أشار رئيس بلادنا إلى أن القادة الدينيين هم «حماة ضمير البشرية»، لذلك يمكنهم ويجب عليهم أن يرشدونا إلى الروحانية والثقة المتبادلة والسماحة والسلام. وكان من أهم معالم المؤتمر مشاركة قداسة البابا وأدائه اللامع أثناء المؤتمر.

وقال قداسته، مخاطبًا الحضور في المؤتمر السابع: «نحن على الأرض التي مرت من خلالها قوافل كبيرة لقرون عديدة. وفي هذه الأماكن، التي

تضم طريق الحرير القديم، الذي بفضله تشابكت العديد من القصص والأفكار والمعتقدات والتطلعات. وعسى أن تصبح كازاخستان مرة أخرى أرض اللقاء التي تجمع من تبعدهم المسافات عن بعضهم البعض. دعها تفتح طريقا جديدا للقاء تقوم على أساسه العلاقات الإنسانية: الاحترام، الإخلاص في الحوار، الكرامة الثابتة لكل شخص، التعاون. فليكن طريقًا جديدًا للأخوة نذهب من خلاله إلى السلام المنشود».

وتحدث البابا باهتمام واحترام كبيرين عن المربي البارز للشعب الكازاخستاني «أباي كونانباييف» باعتباره شخصا ترك وراءه إبداعات مصبوغة بطابع التدين عبر فيها عن أفضل ما في روح هذا الشعب من الحكمة المتناغمة والروحانية التي تتوق إلى السلام وتطمح إليه، وإني لأتساءل بكل تواضع من صميم قلبي رغبة في معرفة حكمة رجل يستحق التقدير ولا يحيط نفسه «برؤى صعبة وخانقة، ولكنه مستعد للاستلهام من مجموعة متنوعة من التجارب».

وحظيت رسائل البابا عن كازاخستان وعن رئيسها وشعبها بتأييد جميع المشاركين في المؤتمر وضيوفه.

الأصدقاء الأعزاء،

اسمحوا لي، بصفتي مفوضًا لتعزيز أهداف وغايات مؤتمر زعماء الأديان العالمية والتقليدية، أن أغتنم هذه الفرصة لأقدم لكم وثيقة تاريخية للغاية - إعلان المؤتمر السابع لزعماء الأديان العالمية والتقليدية.

وأعرب رئيس كازاخستان عن تقديره البالغ للوثيقة الهامة التي اعتمدها رجال الدين.

ويغطي الإعلان قضايا أساسية ويمكن استخدامه كتوجيه للمنظمات الدولية وصانعي السياسات في جميع أنحاء العالم.

ويتضمن **الإعلان المؤلف من 35 نقطة** الرسالة الرئيسية التي مفادها أن مؤتمر زعماء الأديان العالمية والتقليدية ينبغي أن يقوم بما يلي:

- مواصلة الأنشطة المستمرة من أجل السلام والحوار بين الأديان والثقافات والحضارات.

- القيام بدور هام في الجهود المشتركة الرامية إلى تعزيز الحوار من أجل السلام والتعاون وتعزيز القيم الروحية والأخلاقية.

- الدعوة إلى التخلي عن جميع الخطابات العدوانية والمدمرة التي تزعزع استقرار العالم وإلى إنهاء الصراعات وإراقة الدماء في جميع أنحاء عالمنا.

- تشجيع الحوار بلا كلل من أجل الصداقة والتضامن والتعايش السلمي.

- إشراك زعماء الأديان العالمية والتقليدية والشخصيات السياسية البارزة بقوة في حل النزاعات لتحقيق أمور كثيرة من بينها الاستقرار على المدى الطويل.

وتُسمع اليوم الرسالة الرئيسية وأهداف المؤتمر وإعلانه في جميع القارات وبجميع اللغات الرئيسية في العالم.

الأصدقاء الأعزاء!

أعتقد أننا سنتمكن اليوم في هذا الملتقى من الاقتراب أكثر من هدفنا التاريخي المتمثل في مستقبل سلمي ومزدهر للبشرية جمعاء. وينبغي توجيه جهود كل من مؤتمر زعماء الأديان العالمية والتقليدية وغيرها من الحوارات الدولية المماثلة الأخرى التي تعزز التكامل بين الدول والمجتمعات نحو تحقيق هذه الأهداف، وتعزيز الحوار والوئام بين الحضارات والأديان.

أتمنى لكم جميعًا حوارًا مثمرًا ونجاحا!

وفقنا اللَّه لتحقيق نوايانا الحسنة!

❊ ❊ ❊